الثمن الأغلى

نصائح أخلاقية مؤثّرة قدّمها سماحة الشيخ علي سلمان لابنته
في مكالمة هاتفية بمناسبة العشر الأواخر من شهر رمضان ١٤٤٥هـ

مكتب سماحة الشيخ علي سلمان

مقدمة

لا زالت قضية "رضوان الله" تشكّل بوصلة سماحة الشيخ علي سلمان ثمناً لهذه الحياة الدنيا، ومحور اهتماماته رغم الأجواء الصاخبة.

وفي مكالمة هاتفية حديثة من معتقله، مليئة بالمشاعر والمواعظ المؤثّرة، ينصح سماحة الشيخ ابنته بنصائح أخلاقية وذهبية مُنْطَلِقاً من أجواء ليلة القدر والعشر الأواخر من شهر رمضان المبارك، ليؤكد على أنّ "الثمن الأغلى" لهذه الحياة هو طلب رضوان الله سبحانه وتعالى، ولا شيء من بعد ذلك يستحقّ سعي الإنسان أو تكالبه.

وقد ارتأينا في مكتب سماحته أنها نصائح لكل باحثٍ عن مرضاة الله، متمنين أن تكون شعلة في عتمة الطريق كلّما زادت عتمته.

مكتب الشيخ علي سلمان
الجهة المسؤولة عن نشر ما يصدر عن الأمين العام لجمعية الوفاق الوطني الإسلامية في المناسبات الدينية والاجتماعية

الثلاثاء ٢ أبريل ٢٠٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الهدف من هذه الحياة

على الإنسان في مثل هذه الأيام -العشر الأواخر من شهر رمضان، وليالي القدر- أن يفكر في مجموعة من الأشياء. وأهم الأشياء وأولها هو معنى هذه الحياة الدنيا، والغاية منها. لماذا خلقنا الله في هذه الدنيا؟ وما هو الهدف الأساسي الذي نسعى للوصول إليه فيها؟

يقول تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾

إنَّ الهدف الحقيقي من هذه الحياة هو الوصول إلى الآخرة، والفوز برضوان الله سبحانه وتعالى. وأي هدف آخر لا يصبُّ في هذا الهدف هو هدف وهمي.

الناس تتقاتل وتتصارع على بعض مصالح هذه الدنيا، من قبيل الحصول على الشهادة العلمية والعمل والحساب البنكي والسفر وغيرها من زخارف الدنيا.

إنّ الله سبحانه وتعالى ترك لنا الكثير من المساحات المحلّلة ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ إفرح، كُلْ، إلبس، إمتلك سيارة، إبنِ لك بيتًا، كلّ هذا من دون أن تتجاوز حدود الله، من دون أن تتعدّى ما نهى الله عنه.

إنّ الله سبحانه وتعالى قال: هذه لك، وهذه محرمة عليك، فلا تقترب لِمَا هو محرّم عليك. والحقيقة إنّه لا فائدة تُرجى ممّا حرّمه الله عليك.

الوسطية

ما هو معنى الوسطية؟ معناها أن يلتزم الإنسان بما أمر الله تعالى، وأن ينتهي ويتوقّف عمّا نهى، هذه هي الوسطية والاعتدال المحدّدة بحدود الله عز وجل. أمّا فكرة الوسطية والاعتدال -التي يروّج لها البعض- [بأن يتهاون الإنسان في أمر دينه] أنْ تخلع الفتاة الحجاب! وأن أشرب الخمر! وأن تقوم علاقات محرمة بين الرجال والنساء، فهذه ليست وسطية، هذا فسق، هذا انحراف عن إرادة الله.

الإخلاص لله

إنّ الله سبحانه وتعالى ينظر إلى قلوبنا، ويبصر ما فيها، فإذا كانت قلوبنا مع الله وكنّا مخلصين له فإنّه يقبل منا اليسير. أهم شيء في هذه الحياة هو أن نخلص لله.

ابنتي الحبيبة..

كرّري دائمًا هذا الدعاء "اللهم اجعل عملي خالصًا لوجهك"، حتى لا يصبح العمل للناس، أو لفلان وفلتان من الناس، العمل الذي يُتقبّل هو العمل الذي يكون خالصًا لله، واذا تقبل الله سبحانه وتعالى من الإنسان ركعتين، ركعتين فقط، أدخله الجنة.

حياتك غالية

ابنتي الحبيبة..

إنّ أنفاسك غالية، وحياتك غالية، لا ترضي بثمن مقابل هذه الحياة إلا رضوان الله سبحانه وتعالى والجنة، مهما يَكُن في هذه الدنيا، ما هذه الدنيا؟ كم ستطول هذه الدنيا؟ ثمانين سنة؟ انظري إلى أجدادك أين هم الآن، منهم من بقي ومنهم من مضى إلى الله. انظري إلى ما بعد هذه الحياة ما الذي يوجد؟ ثمانين سنة في الدنيا تنتهي إلى نتيجة هي الخلود، إمّا نعيم بلا حدود أو عذاب لا ينتهي.

لا يغرّكِ شيء في هذه الدنيا بما فيها من زخارف بسيطة ومحدودة، قد يقول قائل اليابان جميلة، ونيويورك ولندن والبلد الفلاني رائعين، والمنتج الفلاني مميز، لكن هذا كلّه لا يساوي ذرّة من الآخرة ومن جمال الآخرة وحلاوة الآخرة. مغرور من اغتر بالدنيا.

في يوم القيامة وحين يقف الإنسان في أدنى درجات الآخرة، لو يستطيع الإنسان الذي عصى الله سبحانه وتعالى وخالف أوامره، لو يستطيع أن يفتدي نفسه بكل الدنيا، وبكل ما رأيناه في هذه الدنيا لافتدى به، ولكن يكون الوقت قد فات ولا يفيده شيء في تلك اللحظة.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾

ذلك يا ابنتي الحبيبة، ما دام هذا النَفَس موجود، وما دامت صحتكم، وما دمتم تستطيعون القراءة، والصلاة وغيرها من الأعمال فاهتمّوا بها، وخصوصاً في هذه الأيام أيام شهر رمضان المبارك والعشر الأواخر منه وليلة القدر وليلة العيد، هذه كلّها لحظات مباركة.
عليكم في هذه الأيام وبعد هذه الأيام، أن تكون حياتكم لله سبحانه وتعالى.

تطهير النفس وتزكيتها

حاولوا أن تطهّروا أنفسكم وتزكّوها دائمًا، فهذا طريق طويل لا ينتهي، ولا يضحك الشيطان على أحدنا فيقول لنفسه: أنا صليت أمس، وأنا صمت أمس، وأنا تصدقت أمس. نعم جيّد أنّك تصدقت وصمت يوم أمس، لكن يجب عليك أن تتصدق اليوم، أن تصلي اليوم، يجب عليك أن تفكر في اليوم وما بعد اليوم.

إنّ الشيطان ينتظر لحظة تغفل فيها، ولو قبل الوفاة بلحظات كي يوسوس لك، فهو لا يترك حتى الأنبياء إلى قبل الوفاة يحاول أن يحرفهم، لذا علينا طوال حياتنا أن نجاهد أنفسنا.
نجاهد أنفسنا في صلاحها، نبتعد عن الأعمال والأخلاق القبيحة من قبيل الغرور، والكذب، والعُجْب، وبمَ يعجب الإنسان؟! كلّ ما عندك هو من الله.
لا تقل أنا صلّيت، ما هي صلاتك قبال الله سبحانه وتعالى؟ ما هو كل العمل الذي يمكن لك عمله قبال الله ونِعَمَه؟ فلا يغترّ أحد بعمله، وليَكُن دائمًا متواضعًا لله ولعباده.

نجاهد أنفسنا بتطهيرها من الكذب، من الغيبة، والخيانة بالنظر، وغيرها من الأعمال القبيحة، ونزكيها بالأعمال الحسنة، بأضداد الأعمال القبيحة التي نهانا الله عنها، أنْ يكون لساننا صادق، ونظرتنا محلّلة، وخُلقنا رفيع مع الناس. وحذاري من أن يتوقف هذا التطهير والتزكية في لحظة من اللحظات، لأنّ الإنسان إذا توقف بدأ بالتراجع، ويبقى الشيطان يتحيّن لحظة الرجوع.

إنّ أهم شيء هو أنْ يأتي الإنسان يوم القيامة وقد نال رضا الله سبحانه وتعالى، حين يختار الله أمانته، وتتوفى من هذه الحياة يكون الله راضٍ عنك، ولذا لا تتوقف أبدًا عن السعي إلى تطهير نفسك وتزكيتها، اِجعلها أفضل في كل يوم. يقول المعصوم (عليه السلام): (من تساوى يوماه فهو مغبون).

الفرح في الدنيا

عليكم أن يكون كل يوم أفضل مما سبقه، ولا حاجة لأنْ يشّق الإنسان على نفسه ويتعبها ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، هذا دين يُسر.

أنا أفرح، أجلس مع أسرتي، أشاهد المباراة، أشاهد التلفزيون، اتصفح الانترنت في الأشياء المحللة فأفرح، مَن قال إنّ الفرح في هذه الدنيا لا يكون إلا بارتكاب ما حرّم الله وما نهى عنه؟ من قال إنّ الإنسان يفرح ويسعد إذا شرب خمر، ولا يسعد إذا شرب عصير؟ الكثير من الناس عوّدوا أنفسهم أن يسعدوا بما أحّل الله لهم، كما أنّ ذاك الذي عوّد نفسه -والعياذ بالله- على ارتكاب الأعمال المحرّمة، فيفرح بها مؤقتًا، ولكن يداهمه الندم في الدنيا وفي الآخرة.

فالإنسان الذي قصر نفسه على ما يريد الله، يفرح في الحياة ويأخذ منها ما كتبه الله له.

إنّ رزقك مقسوم لك ولن يأخذ أحد رزقك في الدنيا، لكن اِسعَ إلى رزقك في الآخرة فأنت تصنعه بيدك، فكل شيء ينتهي يوم الوفاة، تتوقف هذه الحياة وكل ما بذلته يذهب من يدك، مالك الذي جمعته، وبيتك الذي بنيته، وسيارتك، وسمعتك وكلامك لا يفيدك اليوم كل هذا، ما يفيدك هو حقيقتك التي يعلمها الله والعمل الذي ذهب معك إلى القبر، كلّ الناس ستتخلى عنك، اللهم إلا مَن كان له ابن صالح، أو زوج، يذكرونه ويدعون له فهذا إنْ شاء الله من أعمالك الصالحة في الدنيا، لكن الذي يبقى معك هو العمل.

الصلاة

أولادي... اهتمّوا في هذه الأيام بالصلاة، الصلاة في وقتها يا أحبتي.
قد تنشغلون الآن في المدرسة، وفي المستقبل بجامعة، وربما بعدها بالعمل فلا تتمكنون من الصلاة في أول الوقت، إما بسبب تزاحم الوقت مع الدرس لعدم وجود مكان مهيأ للصلاة، ولكن احرصوا على أداء الصلاة بمجرد أن تتاح لكم أدنى فرصة.
حين يرتفع الأذان فإنّ الله جلّ وعلا يقول يا عبادي أنا أريد أن أسمعكم، أنت لو قال لك شخص تحبه أريد أن أسمعك لا تتخلف عنه، الله يقول أريد أن أسمعكم تناجوني وتصلّون إليّ، فلبّوا نداء الله بمجرد أن تسمعوه.

كتاب الله

لا تتركوا أحبتي كتاب الله، أقرؤوا في كلّ يوم ما تيسر إليكم منه، من يستطيع أن يقرأ صفحة، أو صفحتين أو ٥٠ آية، المهم هو أن يكون لكتاب الله المجيد حصة في برنامجكم اليومي، أن نقرأ شيئا من كتاب الله، نقرأ بعض الآيات ونتأمل فيها.
نعم، هذا القرآن لا يصل إلى حقيقته إلا رسول الله(صلى الله عليه وآله) وبعد ذلك أولياء الله الذين أعطاهم رسول الله علمه، وبعدهم كلُّ واحدٍ يقرأه بدرجة.

بناتي الحبيبات، أنا سألتكم: ماذا تعني (قُل هو الله أحد)؟ قالت لي سارة يعني أنّ الناس ترجع إلى الله، أنّ الله صمد، أنْ لا إله إلا هو، فكل شخص يحصل على معاني من القرآن، تدبّروا في القرآن، وتأملوا في آياته. وليس لأحد أن يدّعي -عدا المعصوم- أنّه فَهِمَ ووصل إلى حقيقة القرآن، حتى كبار العلماء والفقهاء والمفسرين للقرآن.

سمعت من أحد المفسرين الذين قضوا أعمارهم في تفسير القرآن، وصدر لهم مجلدات كبيرة في التفسير، يقول إنّ سورة الفاتحة التي نقرأها أقرأها كل يوم في الصلوات الخمس، ويقرأها في المستحبات أكثر من خمسين مرة، يقول أنّه التفت إلى معنى في سورة الفاتحة لم ينتبه ويلتفت له طوال ٧٠ سنة، هذه سورة الفاتحة التي نقرأها كل يوم وفي كل صلاة فما بالك بالقرآن كله!

لا تنسوا المحتاجين والفقراء والمستضعفين، فليس صحيحًا أن نأكل ونشرب، ونسعد بما أنعم الله علينا وننسى الأرملة، واليتيم، والفقير، تصدّقوا، ادفعوا ما تقدرون عليه، واجعلوا الصدقة جزءا من حياتكم.

التوبة إلى الله

حبيباتي، هذه المعاني وهذه الأعمال لابد أن نقوم بها دائمًا وفي كلّ يوم ولكننا قد نغفل عنها، وهنا تأتي العودة إلى الله في معنى التوبة. هدفي أن أُرضي الله سبحانه وتعالى، وكلّ عمل أعمله هو لهذا الهدف، وبهذا يصبح رضا الله بوصلة لعملي، فيأخذني إلى الطريق المستقيم، بحيث لا أتيه وأضيع أو أذهب يمنة ويسرة.

انظروا إذا أردتم الخروج إلى بيت الجدّ، تقولون سنركب السيارة ونتوجه إلى بيت جدّنا، أنتم حددتم هدفكم فلا تضيعون في الطريق، وكذلك حين يكون هدفي أنْ أصل إلى رضوان الله هذا يضمن لي أن لا أضيع، فأستحضره دائمًا.

ومع شديد الأسف غرّت الدنيا الكثير من الناس، فالله سبحانه وتعالى يعطي الكافر ويعطي الفاسق ويعطي المنافق، كرمه عظيم ولم يخصّه للمؤمنين به، فهذه الدنيا ليست للمؤمنين، بل بالعكس ففي هذه الدنيا نجد المؤمنين أقل نصيباً في الناحية المادية من الكافر والمنافق.

فالناس تكالبت على الدنيا، تراهم مشغولين من الفجر إلى الليل، على ماذا؟! على هذه الدنيا؟! على ستين سنة؟! على اليوم؟! ولا يدري الإنسان هل يعيش إلى الغد أو لا.

انظروا إلى الشباب الذين يفارقون الدنيا، من هم أصغر ومن بعمركن -يا بناتي- رحلوا من هذه الدنيا، لكن الناس مشغولة بهذه الدنيا، مستعجلون، وإلا لو التفت الناس، لو التفتنا لما فرطنا في النعيم الأخروي.

ما الذي يريده الإنسان؟ نساء؟ النساء في الآخرة. مال؟ المال الباقي في الآخرة؟ أكل؟ الأكل الذي ليس فيه ألم في الآخرة، كلّ ما تريده من لذّات هذه الدنيا المؤقتة والزائلة ستجده كاملاً في الآخرة دائمًا، وما الذي يقابله؟ يقابله جهنّم! جهنّم التي يُغشى على أمير المؤمنين علي (ع)، وعلى رسول الله (ص) وإبراهيم (ع) يغشى عليهم إذا تذكروا الآخرة.

أنت تتحدى الله لماذا؟! لماذا تعاند الله؟! ابني، ابنتي.. لماذا تعاندون الله؟ هذه الدنيا لا تستحق أن نتحدى الله سبحانه وتعالى.

قد نُبتلى بالغفلة عن الله، ونحن نذنب، وتخرج منا كلمة سيئة، أو نسلك سلوكًا غير حسن، علينا أن نتوب من كل ذلك، وهذا شهر رمضان والعشر الأواخر وقت توبة.

أتوب من الأهداف غير الهدف الذي يوصلني ويأخذني إلى الله، أتوب من كلّ عمل لا يُرضي الله سبحانه وتعالى، أتوب من الغفلة عن الله.

كلّ إنسان يتوب إلى الله، حتى الأنبياء يتوبون إليه، وتوبتهم ليست لأنهم اقترفوا فاحشة -حاشاهم- وليست لأنّ أحدهم كذب أو نظر نظرة محرمة، هؤلاء معصومون لا يذنبون لكنهم يتوبون من لحظة قد يغفل فيها القلب وينشتغل بشيء غير جوهر الروح والقدس فيتوبون إلى الله، ونحن المذنبين، نغفل، فعلينا أن نبقي التوبة حاضرة في حياتنا من أجل أن نصحح، وأن نعود إلى الله وإلى الهدف الذي وضعناه وهو رضاه جلّ وعلا.

الاعتماد والتوكل على الله

بناتي الحبيبات..

لا تعتمدوا في حياتكم في أيّ شيء إلا على الله سبحانه وتعالى، صحيح إنّ علينا أن نعمل، ففي دراستي لا أقول سأعتمد على الله ولن أدرس، كلا، عليّ أن أدرس وأن أذاكر، ولكن لا تعتقد أنّ النجاح سيتحقق لك كما تحب بدون توفيق من الله، كم من الناس سعت وبذلت وهيأت الأسباب وذهبت للتجارة وفي النهاية حصلت على دينار؟ وكم من الناس من توكلوا على الله وعملوا ذات هذا الجهد أو أقل منه فحصلوا على مليار؟ هذا إذا كنّا نفكر في الدنيا ومكاسب الدنيا فقط.

علينا دائمًا الاعتماد على الله سبحانه وتعالى ولا يقول أحد "أنا أنا أنا" لا تعتمد على "أنا" فهذه لا توصل إلى أي مكان، فالله سبحانه وتعالى يتكفل بكل شيء، فحين أراد أن ينصر رسوله (صلى الله عليه وآله) على المشركين في بدر، أنزل عليه المطر، واختار له المكان، وأنزل إليه الملائكة، وانتصر المسلمون، وكما يدبّر الله أمر رسوله يدبّر أمر المؤمنين.

ومن هنا علينا أن نتوكل على الله، فمن تركه الله إلى نفسه هلك، دائما كرّروا هذا الدعاء" اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً وتولّ أنت جميع أمري".

لا تقل أنا فعلت وبالتالي أنا سوف أنجح، لا تقل أنا عملت وأنا سأفعل وأنا سأشتغل وأنا ذكي وأنا سأخطط بحيث أصبح تاجرا كبيرا وثريا وأنا سأكسب ولا أحتاج أن أتّكل على الله ورزق الله وبركته.. كلا حبيبتي، الذي يذهب في هذا الدرب ويعتمد على نفسه يهلك.

حتى في صلاتنا، الصلاة ماذا؟ وقوفٌ بين يديّ الله سبحانه وتعالى، متى تظهر قيمتها؟ قيمتها إذا وصل الإنسان إلى الخشوع، إذا كانت خالصة لله، فمن أين لنا الخشوع والإخلاص إذا لم نستعن بالله؟ وهكذا في كل شيء في هذه الدنيا إذا لم نستعن بالله فكيف نصل إلى حقيقته، تلك الحقيقة التي هي الله، وتجعل العمل مقبولاً عنده؟

الشيخ علي سلمان
سجن جو المركزي
الثلاثاء 2 أبريل 2024
22 رمضان 1445

الثمن الأغلى

إنّ أنفاسك غالية، وحياتك غالية، لا ترضي بثمن مقابل هذه الحياة إلا رضوان الله سبحانه وتعالى والجنة، مهما يَكُن في هذه الدنيا، ما هذه الدنيا؟ كم ستطول هذه الدنيا؟ ثمانين سنة؟ انظري إلى أجدادك أين هم الآن، منهم من بقي ومنهم من مضى إلى الله. انظري إلى ما بعد هذه الحياة ما الذي يوجد؟ ثمانين سنة في الدنيا تنتهي إلى نتيجة هي الخلود، إمّا نعيم بلا حدود أو عذاب لا ينتهي.

مكتب سماحة الشيخ علي سلمان